

يعدُّ الشَّعرُ الجزائريُّ الحديثُ حقلاً إبداعياً ثرياً نتج عن تجاربٍ شعريّةٍ صادقة عاشت الواقع فكان بمثابة مرآةٍ صافيةٍ عكس هذا الوضع؛ حيث اتَّخذ فيه كلّ شاعر طريقة خاصّة للتعبير عن طموحه ومراميه وحواله، فمنهم من نهج طريقة القدامى متأثراً بالتراث العربي القديم، ومنهم من عبّر عن حواله مُهتماً بالعاطفة، بينما نجد شعراء آخرين خالفوا سابقيهم مخالفة تامّة وتحرّروا من كلّ القيود. وبهذا تفرّعت في الشَّعر الجزائري الحديث ثلاثة اتّجاهات: أولاها الاتّجاه المحافظ التقليديّ الذي كان صورة مطابقة للتّراث الشعريّ العربيّ القديم. وثانيها الاتّجاه الوجدانيّ التّجديديّ الذي جعل من العاطفة والخيال أساساً لشعره وبناءً لوجدانيّته. أمّا الاتّجاه الأخير وهو الشَّعر الحرّ الذي كسّر قالب العمود الشعريّ ودعا إلى التّجديد والتّحرّر، وكان لكلّ اتّجاه أنصار ومؤيّدون كما كان لهم معارضون ورافضون.

وقد اخترنا المنحى الوجدانيّ كموضوع دراسة في مذكرتنا، والسبب في ذلك يعود إلى رغبتنا في التعريف بهذا المنحى والوقوف عليه من حيث مضمونه وشكله لأنّه هناك دراسات اهتمت بالمضمون و أغفلت الشّكل مع أنّ الشّكل والمضمون وجهان لعملة واحدة، ويستحيل دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر. كما أنّ دراسة الشَّعر الجزائريّ الوجدانيّ كانت سطحيّة ولم تنل حظّها كاملة من الملاحظات المنهجية، ولم تعطٍ للشَّعر قيمته الجماليّة، فهو يحتاج إلى دراسة أكاديميّة. والأهمّ من هذا أنّ الشَّعر الوجدانيّ أصبح يفتقر إلى دراسات في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ولعلّ هذا ما جعلنا نُقدّم على إجراء المقاربة الأسلوبية على إحدى القصائد الشعريّة الوجدانيّة.

وأثناء بحثنا هذا صادفتنا عدّة إشكالات جوهرية مفادها: كيف ظهر هذا الاتّجاه؟ وما هي المواضيع التي عالجها؟ وماهي أبرز الخصائص الفنيّة التي جاء بها؟ وهل خدم الشَّعر الوجدانيّ الجزائريّ واقعه؟



وفي سبيل هذا أنجزنا خطّة بسيطة قصد الإجابة عن التّساؤلات المطروحة، حيث قسّمنا بحثنا إلى أربعة فصول فضلا عن المدخل الذي تحدّثنا فيه عن الشّعر الجزائريّ الحديث واتّجاهاته. ففي الفصل الأوّل المعنون بالشّعر الجزائريّ الحديث بين الاتّباع والإبداع تحدّثنا عن أهمّ مدرستين شعريّتين في الجزائر ألا وهما المدرسة الشعريّة المحافظة والمدرسة الشعريّة التّجديديّة الوجدانيّة وعن أسباب ظهورهما ومبادئ كل منهما. أمّا الفصل الثّانيّ عالّجنا فيه قضايا الشّعر وموضوعاته المختلفة محاولين إبراز ملامح التّطوّر من خلال تحليلنا لنماذج شعريّة مختلفة كشعر الطّبيعة المرأة، الوطن، التّشاؤم، الثّورة والحرّيّة. بينما الفصل الثّالث تضمّن الخصائص الفنّيّة للشّعر الوجدانيّ الجزائريّ فعرضنا الخصائص الإيجابيّة والسّلبيّة للغة الشعريّة ومعجمها اللّغويّ وعرضنا الصّورة الشعريّة وتطوّرها والإيقاع الموسيقيّ ووحدة الموضوع والرمز والنّبرة الخطابيّة. فيما خصّصنا الفصل الرّابع للجانب التّطبيقيّ وقمنا بمقاربة أسلوبيّة حيث وقع اختيارنا على قصيدة لـ "مبارك جلواح" بعنوان "لماذا خُلقتُ؟" التي يُصوّر شكوكه فيها وحيرته؛ حيث نجدها فيّاضة بالظّواهر الأسلوبيّة فسّلطنا عليها المنهج الأسلوبيّ وركّزنا على ثلاثة مستويات: صوتيّ، تركيبيّ ودلاليّ وقبل كلّ هذا عرّفنا بالقصيدة و بصاحبها، ثم أنهينا بحثنا بخاتمة أجمّلنا فيها جميع النتائج التي توصلنا إليها. وقد استقينا معظم مادّة هذه الدراسة من مراجع أصليّة كانت عوناً كبيراً لنا كـ "الشعر الجزائريّ الحديث: اتّجاهاته وخصائصه الفنّيّة" لمحمد ناصر و "الشاعر مبارك جلواح من التمرّد إلى الانتحار" لعبد الله الركيبي. ولقد اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفيّ التّحليليّ الذي ساعد على سبر أغوار المادّة الشعريّة قلباً وقالبا. ومن الطّبيعيّ أن نجد في كلّ بحث صعوبات منها قلة المراجع التي تتحدّث عن هذا الاتّجاه بالذّات؛ حيث نجد كتباً عديدة تتحدّث عن الاتّجاهات الثلاثة شاملة ومتداخلة لذا يصعب فرزها، وقد تعرّس علينا إيجاد كتب متخصصة في الاتّجاه الوجدانيّ، وكنا نعثر على النّزر اليسير في مباحث كتب الشّعر الجزائريّ



الحديث أو في صفحات قليلة لا أكثر، وبشكل مقتضب. إضافة إلى هذا نجد بعض الشعراء من كان وجدانيًا ومحافظًا في الوقت نفسه، زد على ذلك صعوبة التعامل مع بعض المفاهيم الأسلوبية على المستوى التطبيقي والتي تتطلب مرانا وصبرا كبيرين وهذا ما نفتقده للأسف، وصعوبة أخرى تمثّلت في الضيق الشديد للوقت.

وبهذا نأمل أن نكون قد قاربنا الصّواب وألّمنا ولو بالقدر القليل لإرضاء القارئ وإن كنّا قد نسينا أو أخطأنا فالمعذرة، وتلك محاولة على درب طویل والله المستعان وعليه توكلنا.



